خطبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند وفاته

قال عيسى الضرير : سألت الإمام الكاظم (عليه السلام) وقلت : إنّ الناس قد أكثروا في أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أمر أبا بكر أن يصلّي بالناس ، ثمّ عمر ، فأطرق عنّي طويلاً ، ثمّ قال : (ليس كما ذكروا ، ولكنّك يا عيسى كثير البحث عن الأمور ، ولا ترضى عنها إلاّ بكشفها) .

فقلت : بأبي أنت وأمي إنّما أسأل عمّا أنتفع به في ديني وأتفقّه مخافة أن أضل ، وأنا لا أدري ، ولكن متى أجد مثلك يكشفها لي .

فقال (عليه السلام) : (إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لمّا ثقل في مرضه دعا علياً ، فوضع رأسه في حجره ، وأُغمي عليه ، وحضرت الصلاة فأوذن بها ، فخرجت عائشة ، فقالت : يا عمر أخرج فصلّ بالناس ، فقال : أبوك أولى بها ، فقالت : صدقت ، ولكنّه رجل ليّن ، وأكره أن يواثبه القوم فصلّ أنت .

فقال لها عمر : بل يصلّي هو وأنا أكفيه إن وثب واثب ، أو تحرّك متحرّك ، مع أنّ محمّداً (صلى الله عليه وآله) مغمى عليه لا أراه يفيق منها ، والرجل مشغول به لا يقدر أن يفارقه ، يريد علياً (عليه السلام) ، فبادره بالصلاة قبل أن يفيق ، فإنّه إن أفاق خفت أن يأمر علياً بالصلاة ، فقد سمعت مناجاته منذ الليلة ، وفي آخر كلامه : الصلاة الصلاة) .

قال : (فخرج أبو بكر ليصلّي بالناس ، فأنكر القوم ذلك ، ثمّ ظنّوا أنّه بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلم يكبّر حتّى أفاق (صلى الله عليه وآله) ، وقال : ادعو لي العباس ، فدعي فحمله هو وعلي ، فأخرجاه حتّى صلّى بالناس ، وإنّه لقاعد ، ثمّ حمل فوضع على منبره ، فلم يجلس بعد ذلك على المنبر ، واجتمع له جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار ، حتّى برزت العواتق من خدورهنّ ، فبين باك وصائح وصارخ ومسترجع ، والنبي (صلى الله عليه وآله) يخطب ساعة ، ويسكت ساعة ، وكان ممّا ذكر في خطبته أن قال :

يا معشر المهاجرين والأنصار ، ومن حضرني في يومي هذا وفي ساعتي هذه من الجن والإنس ، فليبلغ شاهدكم الغائب ، ألا قد خلّفت فيكم كتاب الله ، فيه النور والهدى

والبيان ، ما فرّط الله فيه من شيء ، حجّة الله لي عليكم ، وخلّفت فيكم العلم الأكبر علم الدين ونور الهدى ، وصيي علي بن أبي طالب ، ألا هو حبل الله فاعتصموا به جميعاً ولا تفرّقوا عنه ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم ، فاصبحتم بنعمته إخواناً .

أيها الناس : هذا علي بن أبي طالب ، كنز الله اليوم وما بعد اليوم ، من أحبّه وتولاه اليوم وما بعد اليوم ، فقد أوفى بما عاهد عليه الله ، وأدّى ما وجب عليه ، ومن عاداه اليوم وما بعد اليوم ، جاء يوم القيامة أعمى وأصم ، لا حجّة له عند الله .

أيّها الناس : لا تأتوني غداً بالدنيا تزفونها زفاً ، ويأتي أهل بيتي شعثاً غبراً ، مقهورين مظلومين ، تسيل دماؤهم أمامكم ، وبيعات الضلالة والشورى للجهالة ، ألا وإنّ هذا الأمر له أصحاب وآيات ، قد سمّاهم الله في كتابه ، وعرّفتكم وبلّغتكم ما أُرسلت به إليكم ، ولكنّي أراكم قوماً تجهلون ، لا ترجعنّ بعدي كفّاراً مرتدّين ، متأوّلين للكتاب على غير معرفة ، وتبتدعون السنّة بالهوى ، لأنّ كلّ سنّة وحدث وكلام خالف القرآن فهو ردّ وباطل .

القرآن إمام هدى ، وله قائد يهدي إليه ، ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليّ الأمر بعدي وليه ، ووارث علمي وحكمتي وسرّي وعلانيتي ، وما ورثه النبيّون من قبلي ، وأنا وارث ومورّث ، فلا تكذبنّكم أنفسكم .

أيها الناس : الله الله في أهل بيتي ، فإنّهم أركان الدين ، ومصابيح الظلم ، ومعدن العلم ، عليّ أخي ووارثي ، ووزيري وأميني والقائم بأمري ، والموفي بعهدي على سنّتي .

أوّل الناس بي ايماناً ، وآخرهم عهداً عند الموت ، وأوسطهم لي لقاء يوم القيامة ، فليبلغ شاهدكم غائبكم ، ألا ومن أمّ قوماً إمامة عمياء ، وفي الأمّة من هو أعلم منه فقد كفر .

أيّها الناس : ومن كانت له قبلي تبعة فها أنا ، ومن كانت له عدّة فليأت فيها علي ابن أبي طالب ، فإنّه ضامن لذلك كلّه ، حتّى لا يبقى لأحد عليّ تباعة) .